مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 18 العدد01 2022/01/15

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

اشكالية انفصام "الخطاب الديني" عن ممارساته اليومية في المجتمع الجزائري

دراسة سوسيو–انتروبولوجية بمدينة وهران

The problematic of the dissociation of religions discours from its daily Practice in the Algerian society – a socio-alnthropological studay in wahran

د. بركة مصطفى*

جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان –الجزائر–

mustaphabarka@yahoo.fr

تاريخ الارسال: 2020/11/16 **تاريخ القبول: 2020/12/02**

ملخص:

منذ القرن الثاني والثالث للهجرة ،القرن الثامن التاسع الميلاديين ومنذ ذلك الزمن الى اليوم مازال الفقهاء والائمة يعتمدون في خطبهم الدينية وكتاباتهم على منهج قديم في منظومتهم الفقية رغم تغير الزمان والمكان ،مما نتج عنه انفصام صارخ بين نصوص خطاباتهم الدينية القديمة والممارسات اليومية التي يعيشها المسلم اليوم والذي ينتمي الى عالم العولمة وتكنولوجيا الاتصال والثقافة المعولمة ،التي غزت كل ميادين الحياة (الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والاقتصادية، والعلمية).

كان لابدان نطرح التساؤلات النقديةالتالية وهي: الم يحن الوقت لنعيد التفكير في حياتنا وخطبنا الدينية التي تريد مطابقة النص الديني على واقع متغير،او جر واقع الى نصوص ليست له ؟

السنا مطالبين باستعمال عقولنا في حل مشاكلنا وازماتنا بمفاهيمنا الراهنة التي انتجتهامنظومتنا الفكرية والثقافية ابستيمولوجيا لحل معضلات عصرية انتجها واقعنا المعاصر ؟

هذا مانحن مدعوون اليه في هذه الدراسة التي تهدف الى الاجابة عن بعض التساؤلات النقديةالتي استقراناهامن الواقع المعيش في مجتمعنا وحياتنا اليومية .

كلمات مفتاحية: النص الديني،الواقع،الخطاب الديني ،سلوك المسلم، الممارسة اليومية ، العقل ،المجتمع الجزائري ،الفكر العربي الاسلامي .

* **المؤلف المرسل:** بركة مصطفى، **الايميل** : mustaphabarka@yahoo.fr

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

Abstract:

Muslims continue to theoretical foundations and frome works,every thing is from the 2nd century hidjrite 8,9th cenuryAD that religion scientists and preachers continue to use in their religious and written speeches dispite the change of time and space .

From this moment to the present day .this emanating situation created a radical schizophrenia between the old texts of their religious discourse and reality of muslims daily life .this current world is that it is not time to reprove our religious discourse whih want to make adequacy between the sacred texts and reality, is that we do not make sense to use our reasoning to solve our own problems and dilemmas that correspond tour contemporary reality.

Keywords: religious text ;reality; religious speech;daily activities; reason; Algerian society; muslim comportement; arab muslim thought.

مقدمة :

لااستطيع ان ادعي انني اتجرا على الدين او "النص الديني" في محاولتي المتواضعة هذه ،لانه سيكون من التجني على الدين وعلى النص الديني ،وهذا ليس موضوعي .وانما موضوعيي هو محاولة وضع سلوك المسلم بين امرين اساسيين قد ورد ذكرهما في "النص الديني "وهما :

أ) الدين :كخطاب وكنص موجه الى المسلم كانسان عاقل اولا .

ب) العقل :كاداة اساسية يتم من خلالها وبها التخاطب والالتزام بتعاليم الدين والقيم الانسانية ثانيا. وهناك امر ثالث يفرض نفسه علينا وهو ج)" الواقع " وتلك "الممارسات اليومية "وهي تلك التمثلات الثقافية التي يمارسهاويعيشها الناس المتدينين اوغير المتدينين الذين يعشون في مجتمع يتميز بكل مكوناته الانتروبولوجية الثقافية والدينية والاجتماعية وغيرها .وبكل ماتحمله هذه المكونات من انسجام ،وتناقض في حياتهم اليومية ".

ان ما تم طرحه في هذا الموضوع من قبل من طرف اولائك الباحثين لم يكن يتوقف عند حدود التوصيف والتشخيص فحسب ،بل كان يذهب الى ابعد من ذلك بمعنى لم يقتصر على الطرح في حدود الفكر الاسلامي كتيار ايديولوجي او معرفي بل كان يصل الى تاويل النص المقدس

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

واعادة قراءته من جديد على ضوء تلك التساؤلات النقدية والمفاهيمية في العلوم الانسانية والاجتماعية التي طرحوها واعادوا طرحها من جديد في كل مرة.

"(...)ان الفكر العربي والعقل المنتج له ،لايعكس تطورا حقيقيا ،بل بالعكس فقط بعض اصداء التطورفي فكر "الاخر "الفكر الاوروبي ،فان القضايا التي طرحها الفكر النهضوي العربي في القرن الماضي هي نفسها التي يستعيدها اليوم الفكر العربي المعاصر ،ولكن لاليعيد طرحها طرحا جديدا على ضوء ما مر من تجارب وتطورات ،داخل العالم العربي وخارجه ،وبعقل جديد تماما بل ليعود فيجترها اجترارا ،واقفا في الغالب عند حدود المطالبة والتمني وباسلوب ادبي" عربي"الاسلوب الذي يترنم بالهجاء ويسكر بالمدح" (محمد عابد الجابري ،1988،ص8،7).

ان ما حدث وما يحدث يجعلنا نشعر اننا مازلنا لم نتقدم من مكاننا الذي وقفنافيه منذ زمن بعيد ،ولم نتغير قيد انملة ،لان التاريخ يسجل اننا تقدمنا في التراجع اكثرمما تقدمنا في التقدم الى الامام .(...)ان الواقع اليومي الذي يفرض نفسه علينا في الظروف الراهنة يجعلنا نشعر فعلا وكل يوم بان شيئاما لم يتحقق اولم ينجز في هذه النهضة العربية ،وبالتالي نشعر باننا لم ننجز بعد نهضتنا كاملة "(نفس المرجع ،ص6).(...)اننا نحتاج الى ثورة لاجراء نقلة نوعية في الوعي الاسلامي التقليدي تمكنه من الانسجام مع واقع المجتمعات الحديثة بماهي عليه من مؤسسات اجتماعية وسياسية وعلوم وقيم انسانية اممية "(مازن العاني ،2015،اصلاح الفكر الديني ،الحوار المتمدن).

بمعنى اخر هل يجب ان نكيف الواقع المجتمعي مع النص او "الخطاب الديني"المتداول في المؤسسات الدينية (المساجد)،ام العكس يجب ان نكيف "الخطاب الديني"مع الواقع المجتمعي للمسلمين في حياتهم الاجتماعية والثقافية والسياسية وغيرها اي في ممارساتهم اليومية ؟

يقول (ماكس فيبر)"ان العقلنة الدينية ساعدت على عقلنة جميع التصرفات الاجتماعية "...لم يمر تاريخنا بفترة كان فيها الفقهاء والمجتهدون والمرجعيات الدينية للطوائف الاسلامية المختلفة كما هو الحال اليوم ،بحاجة الى التحلي بالجراة والشجاعة للوقوف امام مسؤولياتهم الدينية والدنيوية من اجل الدعوة الى اصلاح عميق للفكر والممارسة الدينيين "(مازن العاني،2015 نفس المرجع السابق)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وفي هذه الدراسة المتواضعة نريدان ندرس هذه المسالة من خلال هذه التساؤلات التالية التي نرى انها تضعنا امام انفسنا لنفكر ونعيد التفكير مرات عديدة حتى نتمكن من تشكيل رؤية جديدة لمستقبلنا وهذه التساؤلات الا شكالية هي :

هل يجب ان نفكر بالدين،ام يجب التفكير في الدين لحل مشاكلنا المعاصرة ؟

هل الازمة في "الخطاب الديني "هي ازمة العمل بالنص ام العمل "بخطاب النص"؟

اي هل يجب التمسك في العمل و"المعاملة "بنص (الكتاب والسنة)ام يجب التمسك بخطاب الفقهاء وفهمهم لنص (الكتاب والسنة)؟

فرضيات البحث :

-الفرضية الاولى :يجب ان نتمسك "بخطاب الفقهاء"كما هو مؤسس ،وكما تم تاسيسه لنعيد انتاج واقع يتناسب معه برؤية ماضوية كلاسيكية .

-الفرضية الثانية :لقد حان الوقت لنعيدالنظر في "خطاب الفقهاء" الماضوي الذي مازال يؤطر الفكر الفقهي ، والنظري في الثقافة الدينية المعاصرة – اي تفعيل دور العقل النقدي في الفكر الديني -.

-اهداف البحث:- يهدف بحثنا الى المساهمة في التفكير النقدي المعاصر "للخطاب الديني" ،الذي ظل ومازال يتقيد بمنهج مضت عليه قرون .

-يهدف عملنا الى الاهتمام بالفكرالذي يطؤر المساجد وليس بالمساجد ذاتها باعتبارها مؤسسات تنشئة ثقافية ودينية ..

المنهج المعتمد : هو (المنهج السوسيو –انتروبولوجي النقدي) للفكر الاسلامي عموما و"الخطاب الديني" بالخصوص .

1 مفاهيم تاسيسة لفكيك منظومة "الخطاب الديني"

سنحاول الاجابة عنها كما يلي :

اولا –مفهوم "النص الدينيي": ماذا نعني به ؟

ان محاولة اعطاء مفهوم للنص في "الخطاب الديني" تقتضي منا الرجوع الى كثير من المرجعيات النقدية،لكن نحن هنا لسنا بصدد تعداد معاني النص من خلال تعدد واختلاف مرجعياته وانما فقط محاولة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تحديده في سياق الموضوع الذي نحن بصدده وهو اشكالية انفصام "الخطاب الديني" عن الممارسات اليومية لانه بالنسبة لنا كمانقول "النص".فاننانقصد "الخطاب الديني"لان الخطاب الديني" لايمكن ان يكون خطابا دون بنية نصية متناسبة مع نسقه الخطابي .

وحين كان النص عند كثير من المفكرين سواء كانوا رجال دين اوفكر فهو غالبا عبارة عن تاويل ،او تفسير ،او قراءة ثانية او قراءات متعددة وهكذا .

ادن مفهوم "النص"بالنسبة لنا ليس هو النص الحرفي في دلالته القدسية التي نزل بها ،وانما هو "ذلك التاويل الذي يمثل الوجه الاخر للنص ،ويمثل في الان نفسه الية هامة من اليات الثقافة والحضارة في انتاج المعرفة (...)ان النص حين يكون محورا لحضارة او ثقافة لابد ان تتعدد تفسيراته وتاويلاته"(نصرحامد ابوزيد ،2014،ص.9)

ان "العقل الديني" الاسلامي حكم عليه ان يتوقف عند القرنين للهجرة (الثاني والثالث)بعد وفاة النبي (ص) .ولانكادنستثني من هذا الا تلك الفترة التي عاشها الفكر في عصر النهضة على يد روادها من القرنين (19و20) فقط وذلك على مسؤولية (جمال الدين الافغاني ،الشيخ محمد عبده،ورشيد رضا ،ثم عبد الرحمان الكواكبي)،وبعدها دخل (العقل الفقهي)في سبات عميق وتزمت مقيت جعل من الية التفكير والتنظير الية محكوم عليها بالزندقة والتكفير والالحاد .(...)ان موقف"الخطاب الديني "المعاصر من "علوم القران" و"علوم الحديث"كذلك هو موقف الترديد،اذ يتصور كثير من علمائنا ان هذين النمطين من العلوم يقعان في دائرة العلوم التي "نضجت واحترقت"حتى لم يعد فيها للخلف مايضيفه الى السلف ولم يقرا علماؤنا هؤلاء وهم ينقلون عن السيوطي قوله "العلوم وان كثر عددها ،وانتشر في الخافقين مددها ،فغايتها بحر قعر لايدرك ونهايتها طود شامخ لايستطاع الى ذروته ان يسلك .ولهذا يفتح لعالم بعد اخر من الابواب مالم يترق اليه من المتقدمين الاسباب "(نصر حامد ابوزيد،2014،ص11).

ثانيا –مفهوم "العقل" ما معنى العقل في الثقافة العربية الاسلامية ؟

لايتفق مفكروا الاسلام على معنى واحد"للعقل"لان كلمة "عقل" يمكن ان تكون رديفة لكلمة "تنوير" او مستنير ،ومن هنا كانت دلالة "العقل"ليست واحدة فالبعض يرى انها لصيقة "بالعقل الديني " كما هو الشان عند التيار السلفي والبعض يرى انها مرتبطة "بالعقل العلمي "كما هو الشان عند التيار العلماني

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وحين كانت هذه هي الدلالة السجالية الانقسامية والثنائية الثقافية التي تميز بها الفكر الاسلامي وعلمائه .فضل بعض المجتهدين ان صح ان نسميهم كذلك ان يخرجوا علينا بتيار ثالث وهو محاولة التوفيق بينهما ومن هؤلاء المفكر العربي (الدكتور حسن حنفي)يقول في تعريفه لمفهوم "العقل "التنوير الاصيل "(...)هو ذلك الفعل العقلي وتلك الكلمة العلنية وذلك الفعل المناضل الذي يعطي الاولوية للواقع على النص وينتصر للتقدم الاجتهادي بدل التقليد المذهبي والذي يؤمن بختم النبوةوتجديد الفكرالديني ويعتصم بالعقل ويعطي للانسان الحرية الكاملة ويحمله مسؤولية افعاله وينطلق من من الطبيعة والانسان والتاريخ ".(زهير الخويلدي ،2008،صelaph.com).

اما دلالة العقل عند محمد عابد الجابري من خلال دراسته "لبنية العقل العربي "يرى ان لفظ "العقل" في الثقافة العربية الاسلامية كان محل جدل بين المتكلمين من (المعتزلة والاشاعرة)،حيث يردونه الى جدلية الجوهر والعرض في البيان اللغوي من خلال اشكالية هل العقل جوهر ام عرض؟

ويجيب الجابري عن هذا السؤال قائلا :"(...)وينتهي بنا تتبع المعاني اللغوية لكلمة "عقل"في انتظامها على سلم الانتقال من المحسوس المشخص الى المعقول المجرد الى نتيجتين :

الالى :هي ان العقل بمثابة قيد للمعاني فهو يقيدها ويحفظها ويربطها .وقد وردت في هذا المعنى ايات كثيرة في القران مثل قوله تعالى "يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوة وهم يعلمون "(البقرة 75)اي من بعد مافهموه وقيدوه (...)كما يروى ان شخصا سال انس بن مالك قائلا :"اخبرني بشئ عن النبي "اي اخذته وقيدته ووعيته .ادن ف "العقل"في الاصل "هوعملية تقييد وحفظ للمعاني والمعارف التي تتلقى وبعبارة المتكلمين هو عرض ليس جوهرا .

اما النتيجة الثانية :التي ينتهي اليها تتبع المعاني اللغوية لكلمة "عقل "فهي ان هذا الفعل الذي يقوم به"العقل "فعل الربط والضبط والحفظ يتم في " القلب "وبعبارة اخرى "العقل "في الحقل المعرفي البياني فعل او وظيفة لعضو هو "القلب" ولقد ورد في لسان العرب :(المعقول)"ما تعقله بقلبك"فكان القلب اداة والعقل وظيفتها "(...)وهكذا يفهم منه انه كما ان الاذان اداة للسمع والاعين اداة للبصر فالقلب كذلك اداة للعقل "(عابد الجابري ،بنية العقل العربي ،2009،ص209)

ثالثا- مفهوم الواقع: ما معنى الواقع في دلالة الثقافة العربية الاسلامية ؟وكيف يفهم ويجب ان يفهم؟

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ان دلالة الواقع لايجب ان نستمدهامن دلالة الثقافة الغربية وانما يجب ان نستمدها من رؤية رواد النهضة في الحضارة العربية الاسلامية باعتبارهم السباقين لممارسة الاجتهاد في "الفكر الديني"والدعوة الى استعمال "العقل" في فهم هولاء لا يفوتني ان اشير هنا الى الطرق التي اعتمدها هؤلاء الرواد في تعاملهم مع الفكر الديني (...)وهم لايعولون على الفقهاء بالتقليد ولا يعملون بالتنطعات والتدقيقات الفقهية ،فان لهم طرقا معرفية عدة قاموا بممارستها .ويمكن تصنيفهاالى طرق اربع رئيسية كالتالي :

الاولى :انفتاحهم على النص مباشرة دون وسائط الفقهاء .

الثانية :التمسك بمسلك السلف الاوائل قبل بروز الاختلاف ونشاة الفرق والمذاهب .

الثالثة :ممارسة النظر والترجيح بين الاراء العلمية الموروثة في الحالات التي لايسعف الناظر ولا يجد طريقة اخرى تقربه الى التحقيق .

الرابعة :الاعتماد على مصادر معرفية اخرى مستمدة من العقل والواقع .

ان ما يهمنامن هذه الطرق هو الطريق الاول والطريق الرابع لماذا ؟

لان موضوع المقال الذي نحن بصدده يقوم عليهما :

التعامل مع "الخطاب الديني" من جهة ،والتعامل مع الواقع الذي يعيشه المسلم في ممارساته اليومية من جهة اخرى .حيث يرى (عبد الرحمن الكواكبي) "انها تشمل مختلف الميادين بما فيها الواقع الغربي وكذا التجارب الحضارية والحاجات الاجتماعية وجميع اصناف الثقافة المعتمدة على الموضوعات الخارجية كالعلوم الاجتماعية من الحقوق والسياسة والاقتصاد والفلسفة العقلية والتاريخ القومي والجغرافي الطبيعي والسياسي والادارة الداخلية الحربية ...كل ذلك مما له دلالة على الواقع من مرجعية تاسيسية لفهم النص .على ان تمسك الرواد المصلحين بالواقع كمصدر رئيسي واساسي للمعرفة قد جعلهم يبعدون انفسهم عن الممارسة التقليدية لدى المفسرين والفقهاء" .(يحي محمد ،رواد الاصلاح الحديث وتجديد الفكر الديني، elmothaqaf.com 2010،)

رابعا :مفهوم "الخطاب الديني" يعتبر من المفاهيم الحديثة التي بدات تطرح نفسها على مستوى البحث والدراسة في الفترة الاخيرة منذ بداية القرن الحالي ،وبالخصوص بعد احدث هجوم 11/سمتمبر /2001

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

التي اضطرت فيها المنظومة الدولية ان تدرج مفهوم "الخطاب الديني " او "الخطاب الاسلامي"وتنعته بنعوت كثيرة يتم من خلالها وضعه في سياق استراتيجي ومحاولة ضبطه.

وعليه سنحاول ان نعطي له المفهوم الذي يناسب موضوع بحثنا نقول (...)ذلك البناء من الافكار والمعتقدات التي تتسم باهميتها الاجتماعية التي تتبع من ارتباطها بدين ما ،ومن تاثيرها في تكوين تصور متلقي الخطاب من المؤمنين بهذا الدين عن العالم الذي يعيشون فيه ،وتحديد كيفية تصرفهم ازاء هذا العالم .وينطوي مصطلح "الخطاب الديني "على تنوعات عديدة منها "خطاب ديني مغلق"وهو الخاص بتفسيرات النصوص والشعائر ،"وخطاب ديني مفتوح"وله عدة مستويات فقديكون في اطاره ابدء القيادة الدينية الراي في اسئلة تتعلق بقضايا شخصية توجه اليه ".(الشريف حبيلة ،2015مجلة الاداب واللغات ،العدد1،ص15).

فانطلاقا من تلك المستويات المختلفة "للخطاب الديني"جاءت الدعوات الساعية الى تجديد "الخطاب الديني "نتيجة المتغيرات العديدة وضرورته لكي يساهم في دفع مسيرة المجتمع نحو النمو واكتساب القدرة على مواجهة تلك المتغيرات والتعامل معها بالكفاءة المطلوبة ،واذا كان هذا الخطاب هو اجتهادتنا البشرية (...)فهذه الاجتهادات تقتصر على الواقع ،واقع الطبيعة وواقع الانسان ،اي الواقع الاجتماعي .فهو خاضع لاغراض الزمان اي لاغراض التاريخ وتغيراته وضروراته ،ولذلك يتغير "الخطاب الدينيي"من عصر الى عصر من بيئة الى بيئة ".(الشريف حبيلة ،2015مجلة الاداب واللغات ، ع1،ص16).

خامسا :"سلوك المسلم" ماذا نقصد بسلوك المسلم ؟ لنتعرف على سلوك المسلم في حياته اليومية ،تواجهنا مسالتان وهما :

1 مسالة تتعلق ببظرة رجال الدين (الفقهاء، الائمة ، والمفكرين منهم) الى مقومات سلوك المسلم ،التي لاشك انهم يتفقون على مصادرها .وهي انها تكون نابعة ومستمدة من القران ونصوصه ،ومن السنة واقوالها ،وبعض من سيرة النبي الكريم (ص) .لانه بدون الرجوع الى هذه المصادر يستحيل علينا تمييز سلوك المسلم عن غيره من الديانات الاخرى .وليس هذا فحسب بل ضمن المنظومة الدينية الواحدة سنجد اختلافات قائمة بين المسلمين حتي في اداء عباداتهم وكيفية ممارسة طقوسهم سواء من المذاهب والاتجاهات (السنة ،والشيعة)مثلا هذا اذا اردنا ان نمعن النظر في سلوك المسلم كظاهرة تعبدية في دينه

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

.وفي علاقته مع ربه من هذه الناحية .اذن ان الاسرة والمسجد هما المؤسستان الرئيسيتان والدعامتان الاساسيتان لاعادة انتاج المنظومة الثقافية والدينية من خلال ممارسة التنشئة الاجتماعية للفرد .

2 مسالة تتعلق بنظرة العلماء والباحثين في سلوك المسلم (علماء الاجتماع و الانتروبولوجيا)،فهنا نظرة هؤلاء تختلف عن السابقين لانهم ينظرون الى السلوك لا كظاهرة تعبدية وفقط بل كظاهرة ثقافية واجتماعية او على وجه التحديد كظاهرة سوسيو-ثقافية او انتروبولوجية ثقافية ودينية .بغض النظر عن بعدها الديني الصرف ....هذا الذي يهمنا من السلوك عند المسلم عامة ،المسلم الجزائري خاصة .حيث نجد المسلمين يتمثلون في سلوكهم مرجعيات ينتمون اليها ومن خلالها تتحدد مجموعة القيم والمبادئ التي تضبط سلوكاتهم اتجاه ربهم واتجاه بعضهم البعض .حيث يجدون لانفسهم مايبرر تمثلهم لهذه القيم دون غيرها ..ولا يتوقف السلوك عند المسلمين هاهنا فقط بل قد يذهب الى ان يتحول الى ممارسة سياسية يتبناها المسلم ويؤسس من خلالها "خطاب سياسي"معين يبرر به هذا السلوك السياسي عن غيره .وهذا النموذج من السلوك تمثل ونشا مع ظهور تيارات سياسية كبرى تحولت الى عالمية ودولية كتيار (الاخوان المسلمين) الذين يحرصون على التميز في معاملاتهم وخطابهم ولباسهم في الحياة اليومية ثم استمر مع "خطاب الدواعش"في السنوات الاخيرة ..نفس التمثل نجده عند السلفية الوهابية ،وعند مذهب الشيعة ايضا ...

-سادسا مفهوم الممارسات اليومية :

"هي مجموعة من التمثلات الثقافية التي يمارسها الشخص المتدين في سلوكه ويعطيها دلالات ذات مرجعية دينية سواء كانت هذه الممارسات شخصية او سياسية اوشعبية انطلاقا من تواجدثلاثة اشكال من التدين في الجتمع الجزائري وهي ا) التدين الشخصي الذي ينحصر في اداء طقوس الصلاة كعبادةيومية اوسلوك تعبدي معزول عن ثقافة الشخص المتعبد بها ب)الاسلام السياسي وهذا النوع من الممارسة اليومية يتموقع في خندق ايديولوجي وسياسي يشكل مرجعية في الحياة كلها ج)الاسلام والتدين الشعبي فهذا تحدده الثقافة البسيطة التي يتشكل بها هذا النوع من التدين".. (التدين والممارسات اليومية .. www.wikipedia //ar)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تؤكد الباحثة المغربية (رحمة بورقية)في كتابها (القيم والتغير الاجتماعي في المغرب) تقول "يعتبر الدين والقبيلةوالاسرة ،تقليديا اطر الانتماء والتنشئة التي يغترف منهاالفرد معالم المؤانسة ويستبطن مرجعيات الشبكات الثقافية .ويشكل الدين اطارا مرجعيا للقوانين الاجتماعية وقواعد السلوك والقيم ويقدم اساسا لكل نظام قيمي يعرف حدودنطاق ثقافي معين (...)يعد الدين والمعتقدات والممارسات الاجتماعية اهم مصادر "النظام الاخلاقي التقليدي "والقيم الاخلاقية هي بذلك جزء لا يتجزا من النظام الديني بالمجتمع .يحدد الدين الاطار الاخلاقي ويملي القيم التي ينبغي اتباعها فيما يتعلق بالدين نفسه والاخرين والجماعة ".(رحمة بورقية ،2018،ص5).

يظهر من خلال هذه الفقرة ان الباحثة (رحمة بورقية)تؤكد وتستندعلى مفهوم انتروبولوجي اساسي في تحليل البنيةالاجتماعية والاخلاقية التي يتشكل على اساسها "السلوك الاخلاقي التقليدي"للمجتمع وهو الدين كمصدر وكمرجع تبريري لمنظومة القيم بكاملها ."(...)لقد ورثت المجتمعات العربية الاسلامية خزانا من القيم التقليدية التي تتوسط علاقات الافراد والمجموعات مع الدولة والجماعة .ويعتبر الدين والعرف والتقليد والقوانين المصدر الرئيس للقيم ".(رحمة بورقية ،2018،ص5).

ومن جهة ثانية يؤكد الباحث الجزائري (سليمان مظهر)من خلال كتابه (نظرية المواجهةالنفسية الاجتماعية مصدرالمجابهة)يقول "(...)هناك نظام اجتماعي يسير حياتنا الاجتماعية .وهذا النظام قديم وليس خاصا بنا وهو مااسميه ب:"النظام الاجتماعي التقليدي"وهو اقدم نظام بناه الانسان عبر التاريخ"...وفي رده على سؤال يتعلق بالاسلام وعلاقته بالعنف قال "(...)العنف عنصرمن عناصر النظام الاسلامي وهو موجود في القران نجد مفهوم "جهنم "وهذاعنف "(سليمان مظهر ،2017،صnafhamag.com).

يتابع الباحث (سليمان مظهر)يحلل يقول "في مجتمع كمجتمعنا نجد ان الشبكات العلاقاتية هي التي تحتل المكانة الاولى وتتجلى عن النشاط (خصوصا بمعنى الانتاج) كلما استطعنا الى ذلك سبيلا ونوظف المراسيم الدينية والواجبات العائلية ..وغيرها لتبرير ذلك "....وفي رده على سؤال يتعلق بالشارع الجزائري يقول "اول شيئ يثير انتباهي في الشارع الجزائري هوالضجيج ،عدم احترام الاخر ،الجزائريون يلتقون و يقبلون بعضهم البعض ويظهرون نوعامن الحميمية ،لكن في الحقيقة كل واحد يحطم معنويات الاخر .لا

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

نتعاون مع بعضنا البعض ونكذب على بعضنا البعض ..الكثير من الممارسات الاجتماعية المعادية لشروط الحياة الاجتماعية ".(سليمان مظهر ،2017،نفس المرجع نفس الصفحة).

ادن المقاربة التي اعتمد عليها(سليمان مظهر) تقوم على مفهوم يختلف عن المفهوم الذي انطلقت منه (رحمة بورقية) ولكن رغم اختلاف المفهومين الا انهما يتفقان على ان منظومة القيم مصدرها تلك الاطر التقليدية التي يتم على اساسها تشكيل النظام الاجتماعي بكامله وبكل ما يحمله من مفارقات وتناقضات في الواقع الاجتماعي .

"لا شك ان المسلمين قد نجحوا في بعض مجالات الممانعة الثقافية المرتبطة بالجانب العقدي التعبدي ،ولكن في المقابل مخترقون من قبل منظومات ثقافية اخرى من الناحية السلوكية ،وقاصرون في انتاج منظومات ثقافية جمعية متلائمة مع منظوماتهم الثقافية المرجعية ،وهو ما يجعلهم يعيشون انفصاما بين مرجعيتهم الثقافية وسلوكهم الثقافي اليومي "(محمد يتيم ،2020،aljazeera.net)

2 "الخطاب الديني"وانفصامه عن ممارساته اليومية في المجتمع الجزائري .

1- العلاقة السجالية بين النص والواقع في الخطاب الديني

ان السؤال الذي يتبادر الى اذهاننا هو :هل نبحث عن نص دون واقع ،ام عن واقع دون نص،لتبرير سلوكاتناومعاملاتناواليومية في التعامل فيما بيننا؟

لانه طالما هناك انفصام في سلوك المسلم بين سلوكه التعبدي حين يكون في الاماكن المقدسة (كالمساجداو الحرم المكي ..اوغيره)فهو يبدي سلوكا تعبديا معينا يحددنمط ديانته وانتمائه المذهبي لكن خارج هذه الاماكن المقدسة نلاحظ اشخاص اخرين يختلفون تماما عن الذين كانوا قبل قليل في مناسكهم وكانناامام شخصين متمايزين لاينتميان الى بعضهما البعض ان التداخل الذي يحدث في ذهن المسلم ،سواء كان اماماعلى سلم المنابروكرسي الخطب او متعبد بسيط ياتي الى المسجد،بين ماهو كائن كواقع سوسيو-ثقافي ومايحمله من مفارقات وتناقضات وبين ما ينبغي ان يكون عليه المسلم الماموال في خطابات الائمة ..انتج خطابا مفلسا بكل المعاني والامتيازات،ولم نعد نفرق بين الامكانين هل يجب ان ننشغل بما نعيشه في حياتنا اليومية ،ونفك تناقضاتها ام نكتفي باعادة انتاج خطب ماضوية لاتستطيع ان تفكك شفرات الرسائل الحالية لانها لاتملك الاليات الراهنة لفهمهاوثم لتجاوزها ؟

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ان معنى السلوك التعبدي عند المسلم العربي باخصوص الجزائري على وجه التحديد ،وهذا ما لاحظناه في مسار حياتنا اليومية ان الناس تحصرسلوكهم الديني في ثنائية تناقضية صارخة وهي انهم يفصلون بين سلوكين وهما "السلوك التعبدي الطقوسي" في الاماكن المقدسة كالمساجد مثلا و"السلوك التعبدي التفاعلي " في علاقة العبد بالعبد .وهنا نكون امام كل الممارسات اللادينية التي تنطوي على كل الموروث الانتروبولوجي للفرد الجزائري ومايحمله من تناقضات ثقافية لاعلاقةلها بتدينه ،كايمانه بالسحر والشعوذة والخرافة والطلاسم والعين والحسد وغيرها من الممارسات اللادينية التي من شانها تختلط بالمبرر الديني للمسلم في كثير من الاحيان .

سنحاول ان نستدل على ما نقول من خلال شهادات واقعية .في احدى خطب الجمعة من على راس المنبر في مسجد الحي الذي نقطنه في مدينة وهران وحين نقول الحي فاننا نقصد(العينة السوسيولوجية والثقافية)التي تنتمي الى هذا الحي وهي فئة المعلمين في حدود525 ساكن .

اذيقول الامام متناولا "مشكلة الافراط في السرعة في الطرقات "وكثرة حوادث المرور ،اذ ربط هذه الظاهرة الشاذة في حياة المواطن بمبرر ديني لايمت بصلة الى الحادث اي نسب هذا المشكل الى "قلة الاعتراف بنعم الله عليه في حياته " وبقي الامام طول وقت الخطبة لمدة عشرون دقيقة يحاول ان يقنعنا بهذا المبرر الى نهايتها .وهنا اكتشفنا ان الامر خطير جدا ويعكس "ازمة الخطاب الديني" وانفصامه عن الممارسات اليومية للمسلم في المجتمع الجزائري .لان الاستنتاج الذي سيخرج به المصلي هو ان الامر لاعلاقة له باحترام القوانين او قيم التمدن الحضاري في ثقافة السياقة ما دام الامر مرتبطا بشكر النعم اوعدمها.. .

هل ظاهرة الافراط في السرعة امر ديني ام ثقافي وقانوني ؟هل احترام قوانين المرور مسالة لها علاقة بالدين ام بثقافة احترام قوانين السياقة ؟ ....اذا سلمنا مع الامام في مستوى هذا الطرح .فهل نفهم من ذلك ان سلوك الاوروبيين ومدى انضباطهم للقوانين عامة يرتبط بثقافتهم الدينية ام بثقافتهم التمدنية والقانونية والحضارية ؟.

ولنا مثال اخر عن انفصام "الخطاب الديني" عن الممارسات اليومية لدى الشخص المتدين ،وهو "الخطاب الديني" (وفيروس كورونا)لم يخرج عن كونه خطاب (ادانة وتحدي)ادانة لسلوك المسلم من جهة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

،وتحدي للعلم والعلماء من جهة ثانية ،وان هذا الذي يحدث مجرد امتحان للجميع وعلى الجميع ان يتوب الى الله ..انه خطاب خارج عن الزمان وعن التاريخ وعن الامة وعن المجتمع ويجانب الواقع وينفصل عنه .

2 – التحول في حركة الائمة والمساجدفي الجزائر :

ان التحول الذي عرفته حركة المساجد والائمة في الجزائر في فترة الثمانينات هي التي جعلت من "الخطاب الديني"يدخل ازمته الحادة حينذاك الى اليوم ،ولم يعد يقدر ان يؤدي اي دور اجتماعي اواصلاحي اوتربوي في الجتمع وبقي الخطاب محصورا في النسق التقليدي الماضوي المنقطع عن واقعه وواقع الانسان المعاصر ..يقول البروفسور (محمد طيبي)استاذ علم الاجتماع والانتروبولوجيا في جامعة وهران "(...)ان المسجد هو مؤسسة لتاطير الحياة اليومية ...وكان المسجد مرتبطا بسياقات مجتمعية وسياسية ...اذكان المسجد يصنع الاجتماع البشري بالاحتكام الى الدين كمقوم للرابطة الاجتماعية وليس كمحرك للايديولوجيا "(نوار سوكو،2014،ص elkhabar.com).

ويضيف ايضا يقول "ان الثقافة الدينية وحدها لاتكفي والامام عليه ان يتكون في مختلف العلوم الاجتماعية والانسانية والسياسية حتى يتمكن من تكييف "الخطاب الديني"مع الحياة المعاصرة ويوازن بين التقليد والحداثة ".(نوار سوكو،2014،نفس الموقع) .

كيف يتمكن المسلم اليوم الخروج من هذا المازق؟ وهل هناك بديل لذلك المعجم الفقهي الذي مازال يؤطر المنظومة الدينية الراهنة ؟

يجيب عن هذه الاسئلة الدكتور (سعيدناشيد) يقول "يجب تغيير الجهاز المفاهيمي لمنظومة الفقه ،لانه في مجمله مجرد افراز لعصرالتوسعات الامراطورية ويعبر عن حاجيات ذلك العصر القديم (...)المعضلة اننا نعاني من موقف نفسي رافض للحضارة المعاصرة جملة وتفصيلا وذلك بسبب صدمة الحداثة وبسبب الشعور بالهزيمة ،وبسبب الحالة المرضيةللحضارة "(سعيد نشيد ،2019 ص alquds.co.uk.)

خاتمة :

ان معضلة انفصام "الخطاب الديني" عن واقعه وعن الممارسات اليومية التي يتمثلها المسلم معضلة مازالت تؤرق الفكرالعربي الاسلامي عامة والفكر الديني خاصة ،وهي مسالة مطروحةعلى فقهاء الدين باكملهم وبالدرجة الاولى اكثر مما هي مطروحة على عامة الناس والانسان المسلم في حياته اليومية ،وطالما المسلمون

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

يظلون حبيسي منظومتهم الفقهية التي ورثوهاعن فقهاء اعتمدوا على مفاهيم مغلقة حسب (اطروحة محمد اركون) من خلال (مفهوم السياج الدوغمائ المغلق) ؛ سيواجهون صعوبات معرفية وايديولوجية عويصة في القدرة على تجاوز هذه الازمة .ولكن حين يضعون هذه المنظومة والموروث المفاهيمي موضع تساؤل نقدي ،حينها فقط يتمكنون من اعادة تاسيس منظومة فقهية جديدة تتماشى والمنظومة الفكرية والمفاهيم المعاصرة.التي تتناسب وديناميكية الحركة الحداثية للمجتمع المعاصر . لقدحان الوقت لتجاوز منظومة سلطة الفقهاء الدينية التي (سيجت التفكير) و"الخطاب الديني" الاسلامي منذ قرون ...ولا يستقيم "الخطاب الديني"للائمة اذالم يتفتحوا على الاليات المنهجية والعلمية التي تدرس الانسان ومشاكله المعاصرة كحدث ثقافي وليس كيقينيات دينية مطلقة.

قائمة المراجع :

-1الشريفة حبيلة ،الخطاب الديني واشكالية المفهوم ،مجلة الاداب واللغات ،العدد1 ،جامعة العربي التبسي ،سنة 2015

-2رحمة بورقية ،القيم والتغير الاجماعي في المغرب ،مؤمنون بلا حدود ،ترجمة محمد الادريسي ،سنة 2018/10/3

-3زهير الخويلدي ،مفهوم التنوير الديني ،حسن حنفي نموذجا ،موقع ايلاف 2008، www.elaph.com،

4-سليمان مظهر ،من يدعي ان سبب تخلفنا هو الاستعمار فانه يجهل اوضاعنا الاجتماعية ،حوار زهور شنوف ،سنة ،موقع نفحة ،2017

-5سعيد ناشيد ،الشريعة تعكس ارادة السلطة فهي ليست كلام الله ،موقع جريدة القدس العربي 2019، alquds.co.uk

6-محمد عابد الجابري ،الخطاب العربي المعاصر ،دراسة تحليلية نقدية ،دار الطليعة بيروت ،ط3،سنة 1988

7-محمد عابد الجابري ،بنية العقل العربي ،دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ،م،د،و،ع بيروت ،سنة ،2009

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

-8محمد اركون ،القران من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني ،ترجمة هاشم صالح ،دار الطليعة بيروت ،ط2سنة 2005

-9محمد شحرور ،اشكالية العقل العربي ،الموقع الرسمي للدكتور شحرور ، shahrour.org،سنة 2016

-10مازن العاني، اصلاح الفكر الديني،موقع مجلة الحوار المتمدن ،elhawar.com،سنة 2015

-11نصر حامد ابوزيد، مفهوم النص دراسة في علوم القران، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ،بيروت لبنان،ط1،سنة 2014

-12نصرحامد ابوزيد، التفكير في زمن التكفير، ضد الاجهل، والزيف ،والخرافة ،مكتبة مدبولي القاهرة ،ط2،سنة 1995

13نوار سوكو، المساجد الجزائرية على الهامش ،موقع ،elkhabar.com،سنة 2014

14-يحي محمد، رواد الاصلاح الحديث وتجديد الفكر الديني ،موقع،elmothaqaf.com ،سنة 2010.

- www.wikipedia .arالممارسات اليومية